جامعة محمد بوضياف المسيلة
معهد تسيير التقنيات الحضرية

قسم: العمران والمدينة
مادة: تاريخ العمران
السنة : الاولى ليسانس **الاستاذ: د. منصور خميسي**

الموضوع : العمران والمدينة الاسلامية

1.ظهور العمران الاسلامي:

إذا كانت حياة المدن قد تدنت في أوروبا خلال العصور الوسطى، فقد ازدهرت في بلاد العرب، حيث كان للفكر الاسلامي التأثير البالغ على عمران هذه المدن، فقد بدأ تخطيط المدن الإسلامية منذ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب التي اصبحت المدينة المنورة، حيث أصبح للمسلمين مدينتهم الأولى، وكان تأثير الرسول صلى الله عليه وسلم كبيرا جدا على تخطيط المدينة، ثم اسس العرب المسلمون الكثير من المدن الاسلامية اثناء الفتحات الاسلامية وصنفت هذه المدن تبعا لوظائفها الى: معسكرات حربية مثل البصرة والكوفة والقيروان، مراكز ادارية كمدينة واسط في العراق، وعواصم الدول كالقاهرة وبغداد وفاس، مراكز للحكم مثل القدس ودمشق ،والتي ارتبطت بالمذاهب الدينية مثل كربلاء والنجف.

2. اهم العوامل التي اثرت على تخطيط المدينة الاسلامية:

العامل الحربي:

يرتبط هذا العامل بانتشار الاسلام نتيجة لتعرض الاسلام لضربات ضارية استهدفت القضاء علي هذه الدعوة كما ان طبيعة الدين الاسلامي الذي يلقي علي المسلمين نشر الاسلام وكان من ضروريات هذه الفتوحات أن ينشئ المسلمون في البلاد المفتوحة مراكز عسكرية تكون مقرا لجند المسلمين ومن ثم كانت المدينة الاسلامية في البلاد المفتوحة ذات طبيعة حربية كما يظهر من اسمها (الفسطاط) (القيروان) وكل منهما تعني الخيمة.

–أدت التطورات التي صاحبت حركة الفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى تأسيس عدد من المدن أو أو القواعد العسكرية، التي تحولت فيما بعد إلى مدن، وكان لتأسيس هذه القواعد أثره في تطور عمارة المدن الإسلامية، وأول هذه المدن في البصرة التي أسسها عقبة بن غزوان سنة

(12هـ / 633م) ، والكوفة التي أسسها سعد ابن أبي وقاص سنة (17هـ / 638م) ، والفسطاط التي أسسها عمرو بن العاص سنة (21هـ / 642م)، والقيروان التي أسسها عقبة بن نافع (45) هـ

–وكان لتأسيس هذه المدن أثر هام في تثبيت أركان الدولة الإسلامية الناشئة، ويمثل تأسيس كل مدينة نهاية مرحلة، وبداية مرحلة أخرى من حركة الفتوحات الإسلامية، فبتأسيس الفسطاط انتهت مرحلة فتح مصر وبدأت مرحلة فتح المغرب الأدنى ثم الأوسط، وبتأسيس القيروان بدأت مرحلة إتمام فتح المغرب الأوسط والأقصى، وانفصال ولاية المغرب عن مصر.

العامل السياسي:

لقد كان هذا العامل وراء ازدهار أكثر من مدينة فكل اسرة حاكمة لها اصولها القبلية وبالتالي تحاول بناء عاصمة جديدة يتجمع بها اشياعها، حيث:

– فقد نقل علي بن ابي طالب عاصمة الخلافة الي الكوفة لكثرة اشياعة فيها.

– اخذت دمشق مكان الكوفة عند تأسيس الدولة الأموية

–اقيمت العاصمة المصرية في الفسطاط ثم نقلت الى العسكر في عهد العباسين ثم الي القطائع في عهد الطولونيين ثم انتهت الي القاهرة في عهد الفاطميين.

– وكثيراً ما كانت تحمل المدينة اسم الخليفة كالمهدية والمستنصرية والمتوكلية وغيرها ....

العامل الديني:

وهذا من خلال: تأثيره البالغ على العناصر العمرانية والمعمارية للمدن، حيث اعتمد المسلمون على القرآن والسنة فمثلا أخذوا عن الحديث (لا ضرر ولا ضرار)، فأثر هذا الفقه على تخطيط المدن والشوارع وحدد درجات الخصوصية في الأماكن العامة، وحدد أماكن وضع المباني التي تضر الناس كالمصانع والأفران، والتي تسبب نوع من الضجيج، حيث كانت تبنى بعيدا عن الأحياء السكنية.

- اتساع نطاق الامبراطورية الاسلامية من الهند الى المغرب ومن الى الاندلس الى افريقيا الاستوائية.
- تأثير بقايا الحضارات السابقة في البلدان التي وصل اليها الاسلام مثل الحضارة الرومانية.
- تعدد مواد البناء واختلاف المناخ والتضاريس الجغرافية.

العامل التجاري:

يعد هذا العامل من ابرز العوامل التي اسهمت في ازدهار المدينة الاسلامية ، فكانت بلاد العرب بمثابة طريق عام وملتقي للطرق التجارية التي تربط بين الحضارات.

2.العناصر التخطيطية المشتركة للمدن الإسلامية القديمة :

وتتبلور من خلال العناصر التالية:

- عرفت المدن نوعين من التخطيط الأول دائري، والثاني ذو محاور متعامدة ومع أن النوعين مختلفين في الشكل، إلا أن العناصر والمكونات العمرانية لا تختل.

الشكل رقم 35: مدينة بغداد كمثال للمدينة الإسلامية الدائرية

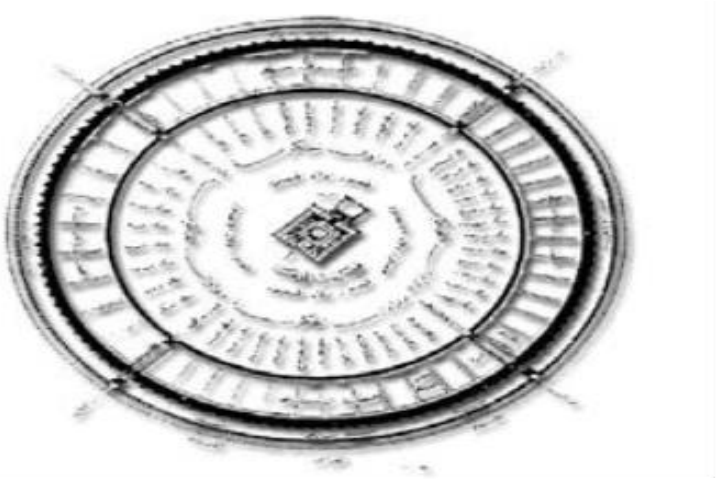

الشكل رقم 36: مدينة القاهرة الفاطمية كمثال للمدينة شبه المتعامد

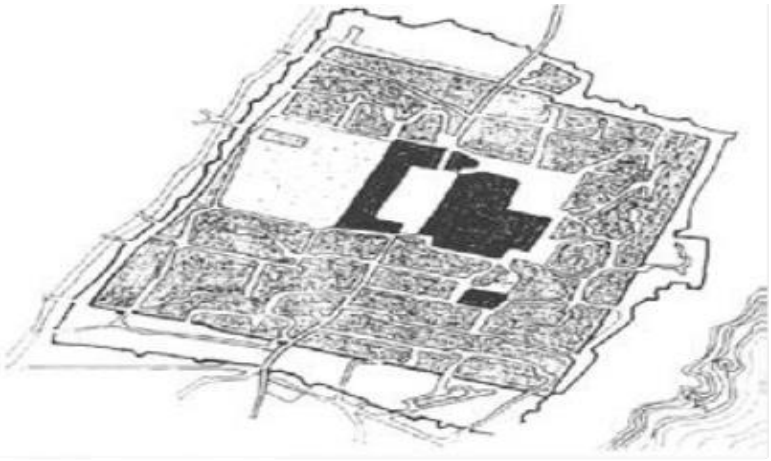

– نواة التغيير العمراني كانت بناء المسجد في وسط المدينة، وشق طرق رئيسية تصله بالضواحي.

–تميزت بوجود ثلاث انواع من الشوارع: شوارع رئيسية ذات ملكية عامة يصل عرضها الى 7م عريضة ومستقيمة، هذه الشوارع يتفرع منها شوارع ثانوية خاصة بكل حي (قبيلة) يصل عرضها الى 5م، وهي شوارع ضيقة وملتوية لعدم خضوعها لفكر تخطيطي مسبق، لتوفير الخصوصية ولأسباب دفاعية، ثم تتفرع من الشوارع الثانوية شوارع ثالثية يصل عرضها الى 3 م وهي عبارة عن ممرات تصل الى ابواب المنازل تسمى بالأزقة او الدروب.

–حول المسجد أنشأت النواة بتخطيط محلات سكنية تشكل شوارع تجارية متخصصة (الحدادة، النجارة، العطارة) صغيرة ومسقفة، ثم بقية المنازل التي قسمت الى احياء كل حي لقبيلة معينة.

–بعد المنازل توجد ساحة صغيرة تقام فيها صلوات العيد والتجمعات المختلفة، بالإضافة الى الاسواق الاسبوعية والموسمية (لا تضم المباني) والمذبح واماكن لاستقبال الضيوف.

–اضافة الى اختيار الموقع المحصن طبيعيا تم انشاء الاسوار والابراج والقلاع والحصون.

–تعتبر المدينة الاسلامية نموذجا للمدن المتراصة مثل المدينة الاوروبية الاقطاعية حيث تكون فيها المباني ملتصقة ببعضها البعض لعدة اسباب اهمها: ندرة العقار الحضري لان المدينة محاطة بالسور، تدعيم الروابط الاجتماعية والحفاظ على الخصوصية (l'intimité)، ومن اجل التقليل من الفراغات لتوفير الظلال والرطوبة (نظرا للمناخ السائد).

واثناء الفتحات الإسلامية طرأت العديد من التغييرات على مخطط المدينة الاسلامية، فقد بدء التغيير العمراني في المدينة الاسلامية في العصر الأموي (وعاصمتها دمشق) نتيجة تحول نظام الحكم إلى النظام الملكي الوراثي ما أدى إلى:

- بناء القصور الى جانب المساجد في مركز المدينة.
- بناء التجهيزات المدنية كالزوايا والبيمارستانات (المستشفيات قديما) والخانات (الفنادق)على طول الشوارع الرئيسية التي تربط الضواحي بالمركز.
- البناء في الأسواق ونقلها الى مراكز المدن.
- عدم بناء الأسوار بل كانت محصنة طبيعيا باختيار موقع جيد،
- احداث العديد من العناصر المعمارية الجديدة مثل الاقواس والقبب التي وصلت في اخر عهد الدولة الاسلامية (الاندلس) الى مستويات عالية من الدقة والروعة.
- ظهور فقه البنيان وهو مجموعة قواعد فقهية تراكمت بمرور الزمن نتيجة لاحتكاك العمران والمجتمع، وقد قسم فقه البنيان أحكام البنيات إلى أربع أقسام رئيسية:
  - **بناء الواجب:** مثل المسجد، بناء حصون للدفاع عن ديار المسلمين.
  - **بناء مندوب:** مثل الأسواق لتسهيل حركة الناس وعدم البحث عن السلع.
  - **بناء مباح:** مثل بناء المساكن لحفظ النفس والمال والعرض.

بناء محضور: الملاهي، ودور السكر والبناء على المقابر وفي أرض الغير.

3.معالم المدينة الاسلامية:

وتتمثل في: المسجد، الاسوار والقلاع والرباطات. الخانقاة، السوق الحمامات العامة، المناطق السكنية.

- **المسجد:**

الصورة 1: المسجد

كان أول ما يبنى هو المسجد الجامع ويكون في وسطها كان مسجد يسمى مسجد الصلوات الخمس حيث يصلي فيه الناس و يجتمعون يوم الجمعه في المسجد الجامع . ثم يبنى حوله مبنيان رئيسيان هما دار الإمارة و بيت المال، بجوار المسجد كانت تخصص ارض للتسوق . بعد ذلك كانت تخط اراض بينها شوارع رئيسيه للقبائل المختلفة ويترك تخطيط هذه الاراضي للقبائل

- **دار الامارة:**

من المعالم الهامة التي صاحبت انشاء المدن الاسلامية وقد تواجه المسجد ، ويحيط بها وبالمسجد مساكن الجند في كثير من الاحيان، لقد تدرجت دار الامارة من البساطة في أول الأمر الي الفخافة مثل القصور الزاهرة في القاهرة وقصر الذهب في بغداد قصر الحمراء بالاندلس.

- **الاسوار والمباني الحربية (الابراج والرباطات والقلاع):**

. جاء اهتمام المسلمين بالعمارة الحربية في إطار حث الإسلام لهم على إعداد القوة ومدافعة المغيرين لذلك اعتبر الإسلام تشييد الاستحكامات الحربية من أسوار وحصون وقلاع وأبراج من الوسائل التي تساعد على حفظ دماء المسلمين وحرماتهم، فهي من مقاصد الشريعة الاسلامية.

جعل العامل الحربي السور من أهم عناصر المدينة الاسلامية وتخطيطها فنشر الاسلام اقتضي قيام نقط ارتكاز يتجمع فيها الجند ولكي يتحقق الهدف الحربي لزم ان تكون المدينة محصنة يسهل الدفاع عنها والانطلاق منها ، فأحيطت بالأسوار المزودة بالبوابات الضخمة ، وقد تصل الرغبة في زيادة تحصينها الي حد انشاء أكثر من سور فقد تحاط بسورين او ثلاثة ، وتزود الاسوار بالأبراج والشرفات والقلاع ، كما

كانت تحفر حولها الخنادق في كثير من الاحوال . ولقد سبق رسول الله صلي الله عليه وسلم الي ذلك حينما حصن المدينة لحمايتها من مشركي قريش وقد تملئ هذه الخنادق بالماء

ومن المدن الاسلامية المسورة وهي كثيرة : الفسطاط – العسكر –بغداد – القيروان –المهدية – وسامراء –فاس – الرباط – جدةالقدس – غزة وغيرها.

الصورة 2: الاسوار

– يحيط بالمدينة سور يتخلله أبراج وأبواب لحماية من بداخلها، ولم يختلف شكل الأبراج التي تتخلل أسوار المدن، أو التي تحيط بواباتها عن الشكل المربع أو المستطيل، أو الشكل الدائري، كما نرى ذلك في أبواب مدينة القاهرة الفاطمية وأبراج أسوارها، فباب النصر مستطيل، وباب الفتوح وباب زويلة ذات أبراج مستديرة، وكذلك في قلعة صلاح الدين الأيوبي بالقاهرة استعملت مختلف أنواع الأبراج.

القلاع:

الصورة3: القلعة

تعتبر القلاع من أهم المنشآت الدفاعية التي ظهرت في العصور الوسطى، وخاصة في العصر الأيوبي الذي ازدهرت فيه العمارة الحربية والدفاعية، ولا سيما القلاع والأبراج والأسوار، وانتشرت في الكثير من المدن العربية والإسلامية، وكانت القلاع تبنى على تلال وجبال مرتفعة وتطل على المدينة لتحقق لها هدف الدفاع والتحصين ضد المعتدين، وقد اهتم بها الحكام والسلاطين، وتسابقوا في تشييدها وعمارتها حتى غدت من المعالم الأثرية البارزة للحضارة الإسلامية في عصور القوة، والتي لا تزال قائمة حتى اليوم في بعض المدن الإسلامية لتشهد على ما وصلت إليه العمارة الدفاعية خلال العصور السابقة من تقدم وشموخ وازدهار.

الاربطة:

الصورة3: قلعة الاربطة

تعد الأربطة نوعا من المنشأت المعمارية الإسلامية ، وهي نوع من الأبنية العسكرية كان يسكنها المجاهدون الذين يدافعون عن حدود الإسلام بحد السيف . وكانت الأربطة منتشرة في صدر الإسلام قبل أن ينتشر الدين ويستتب الأمن وتأمن الامبراطورية الإسلامية على حدودها ، وكان أهمها رباطات شمال إفريقية، التي تشبه في تصميمها بعض التحصينات البيزنطية ومعظمها أبنية مستطيلة الشكل، وفي أركانها أبراج للمراقبة، أما داخلها فبناء تحف به قاعات لا نوافذ لها . وعندما زالت عن الأربطة صفاتها الحربية أصبحت بيوتا للتقشف والعبادة يسكنها المتصوفة، على أن الأربطة لم تكن المباني العسكرية الوحيدة التي شيدها المسلمون.

- **المباني التجاري (الأسواق والفنادق والوكالات والخانات القياصر:**

تنقسم المباني التجارية عموماً إلى أسواق فنادق وكالات وخانات وقياصر وأسواق، والواقع أن المؤرخين و كتاب الوثائق لم يفرقوا بين الفنادق والوكالات والخانات والقياصر.

– عادة ما تحيط الاسواق بالمساجد ، وقد كانت معظم الاسواق مبلطة او يبني علي جانبيها ارصفة يمشي عليها الناس في الشتاء اذا لم يكن السوق مبلطا وكانت الاسواق مغطاه بالسقائف وبعضها يضاء ليلا ونهارا بالقناديل وكانت الاسواق مقسمة حسب التخصص ، كسوق العطارين ، النحاسين وقد اعتاد المسلمون ان يسكنوا في اماكن عملهم مما ادي الي خلق نظام الطوائف الحرفية فحول الاسواق امتدت الازقة والشوارع التي تصطف علي جانبيها دكاكين تضم طوائف الصناع الذين يمارسون شتي الحرف كالنسيج والحفر والطرق علي النحاس.

–ظهرت شخصية المحتسب الذي كان رمزا لسلطة البلدية.

الفنادق والخانات:

الصورة4: الخانات

-عرفت المدن الإسلامية الفنادق منذ بداية العصر الإسلامي وازداد انتشارها في العصر المملوكي بعد القضاء على الخطرين الصليبي والمغولي وتأمين طرق التجارة الدولية، وكلمة فندق] كلمة يونانية الأصل وعرفت في الإيطالية أيضاً، وربما كانت الفنادق يغلب عليها استخدامها لغرض سكن التجار والقادمين إلى المدينة وكذلك الخان وقد خصص كل مبنى منها لجنسية معينة في معظم الأحيان، وكان معظمها خارج المدن تبنى على الطرق التجارية، ولذلك حصنت بأبراج لحمايتها ولكنها لم تحصن داخل المدن، كما كان لها باب واحد فقط.

-تميزت بخلو الواجهات من الحوانيت، والدخول من الباب الرئيسي إلى صحن أوسط مكشوف تلتف حوله المخازن المعدة لتخزين بضائع المسافرين، وقد تأخذ هذه المخازن طابقين أو أكثر، ويكون السلم المؤدي إلى الأدوار العليا في أحد أركان الصحن الأوسط

الوكالة:

الصورة5: الوكالة

-أما الوكالة فقد جاء اسمها من التوكيل لسلعة معينة، وقد انتشرت داخل المدن عامة.

- ويتميز معمارها بوجود فناء سماوي واسع يتوسطها غالبا ما يكون مستطيل الشكل ويستخدم لعرض البضائع وممارسة عمليات البيع والشراء وبها حواصل كثيرة تتوزع على مدار أضلاعها الأربعة تستخدم كحوانيت للبيع، أو لتخزين البضائع. أما الأدوار العليا فيها فكانت تستخدم كحجرات فندقية لإقامة تجار القوافل الغرباء وأسرهم . وقد تكون حجرات الاعاشة والسكن كثيرة في عمارة بعض الوكالات حيث كانت تؤجر للعامة كرباع يسكنها الأهالي.

القيصرية:

الصورة6: القيصرية

أما القيصارية، فقد جاء اللفظ من كلمة "قيصر" لأن أول من بني مثل هذه النوعية أحد القياصرة الرومان، وأطلق عليها العرب كلمة "سوق"، ويطلق لفظ القيسارية في كثير من الأحيان على الشارع التجاري في المدن، هي عبارة عن شوارع تجارية تصطف فيها المحلات التجارية على الصفين وتكون هذه الشوارع للمشاة فقط.

الخانقاوات

الصورة7: الخانقاوات

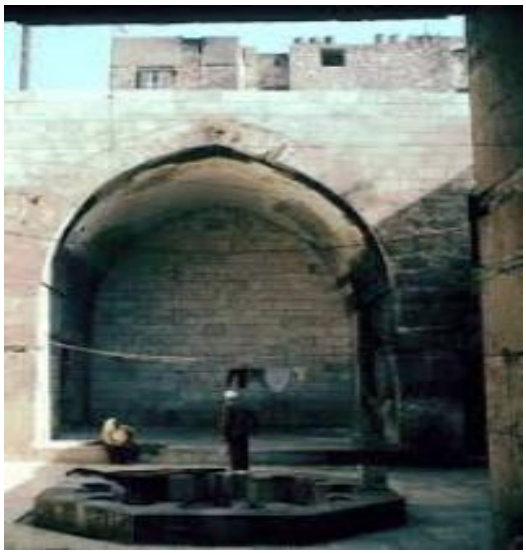

وهي لفظة فارسية تعني البيت وهي بيوت كانت تبنى غالباً على شكل مساجد إلا انها بلا مئذنة وبلا منبر وتضم مسجداً لا تقام فيه صلاة الجمعة ، ويلحق أحياناً به ضريح أو مدرسة أو سبيل و فيها غرفاً لمبيت الفقراء والصوفية يدرس فيها الدروس الدينية واللغة العربية والتصوف والحديث ويطلق عليها الخانكاة وتعرف ببلاد الشام بالربط والزوايا.

الحمامات:

الصورة8: الحمامات

عرف المسلمين تلك المبني من الحضارة البيزنطية، وكانت الحمامات تؤدي وظيفة صحية كما كانت تؤدي في نفس الوقت وظيفة دينية وأخرى ترفيهية، حيث كانت تتم بها بعض مراسم احتفالات الخطبة والزواج والختان، وتعتبر الحمامات أيضاً من المنشآت التي تدر ربحاً منتظماً وفيراً، ومن ثم فقد حرص أصحاب الثروات على إنشائها ووقفها وقفاً أهلياً أو خيرياً على أغراض البر والتقوى كالمساجد والمدارس.

تتكون الحمامات معمارياً في معظم الأحوال من واجهة بها باب يؤدي إلى داخل وحدات الحمام، وباب أخر يؤدي إلى المساكن التي تعلوه إن وجدت، وآخر

يؤدي يؤدي إلى المستوقد المعد لتسخين المياه وبئر المياه ويعلوه الساقية التي تمد الحمام بالمياه وغير ذلك.

البيوت:

الصورة9: البيوت

في البداية كان المجتمع الاسلامي يمنع المغالاة والإسراف في المباني والتطاول فيها ، فعمر بن الخطاب نصح بعدم المطاولة في البناء . شيدت البصرة في اول الامر من الغاب والخيام ثم بنيت باللبن ثم بنيت بالحجر، وفي عهد بني امية ظهر ميل الولاة الإقامة المباني الشامخة فظهرت العمائر الضخمة فكانت غالبية مساكن القاهرة بين خمسة وستة طوابق ولوحظ وجود بيوتا مكونة من اربعة عشر طابقا

الشوارع:

الصورة10: الشوارع

ففي القاهرة كانت مباني المدينة متقاربة وشوارعها ضيقة وبعضها مظلة لذلك كانت توقد فيها القناديل لان ضوء الشمس لا يصل الي أرضها.

– تتصف مدينة فاس بشوارعها الضيقة الملتوية التي تصطف علي جوانبها دكاكين الحرفيين وتظلل كثير من الشوارع بالبوص المجدول وكان ينبعث من الشوارع روائح تختلف باختلاف السلع التي تباع في محلاتها المتراصة علي الجانبين.

– نجد ان بعض المدن الإسلامية حاكت في تخطيطها التخطيط الاغريقي والروماني ذات شوارع متسعة كما كان في مدينة سامراء.

الاسبلة والكتاتيب:

ظهرت الأسبلة في العصرين المملوكي والعثماني، وهي عبارة عن مبانى مكونة من ثلاثة طوابق، الطابق الأول منها تحت سطح الأرض ويسمى الصهريج، وهو مخصص لتخزين الماء، والطابق الثاني فوق سطح الأرض، وهو حجرة السبيل، وهى حجرة بها فوهة الصهريج التي يسحب منها الماء ويوضع في أحواض ليشرب منها عابري الطريق، وتكون هذه الأحواض خلف شبابيك حجرة السبيل المطلة على الطريق، وتطل حجرة السبيل على الطريق بشباك واحد أو أكثر على حسب الواجهات المطلة على

الطريق، ويغطى واجهات الشبابيك أحجبه من النحاس، وأحياناً من الخشب والنحاس معاً ، يوجد أسفلها عقود صغيرة من النحاس تتيح للمارة مد يدهم لأخذ طاسات الماء النحاسية المربوطة بسلاسل في شباك السبيل. ويعلو حجرة السبيل الطابق الثالث المخصص للكتاب، حيث يتعلم فيه الأطفال القراءة والكتابة والحساب ويحفظون القرآن، وكان بعضاً من هذه الكتاتيب مخصصاً للبنات. وكانت هذه المباني تلحق بالمباني الدينية.

الصورة10: الاسبلة